

علاج ظاهرة التكفير



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

المحور ٨ - البحث ١١

مسؤولية المؤسسات الدعوية في علاج ظاهرة التكفير

د. لمياء بنت سليمان الطويل

أستاذ مساعد

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

إن مما ابتليت به الأمة الإسلامية وأشد ما ابتليت به اليوم ما يسمى بالتكفير!، فلم تسلم من هذا الداء قديماً وحديثاً، ونجد أن أشهر من عُرف قديماً بالتكفير والعنف والغلو هم الخوارج الذين حكموا بالكفر على من لا يستحقه من المسلمين، وخرجوا على ولي الأمر وصاروا شراً ومحنة على الإسلام والمسلمين، وقد تعرض علي عليه السلام نفسه إلى عملية التكفير من قبل الخوارج الذين رفضوا التحكيم بين علي ومعاوية، وبالرغم من أن مأخذهم لم يكن يتعدى الاجتهاد السياسي إلا أنهم أضفوا عليه صفة الكفر والإيمان، وذهبوا إلى حد شق وحدة الأمة المسلمة وإعلان الحرب على المسلمين.

ولئن كانت الأمة قد عايشت صوراً من الغلو والتطرف في عصور سلفت، فإن أشد أنواع التطرف ما عاشته الأمة في عهودها الأخيرة، وما زال هذا الفكر يمضي في أوساط الأمة ومنذ ذلك الحين استمرت ظاهرة التكفير في المجتمعات الإسلامية والعربية حتى عصرنا الحاضر، فأصبحت هذه المجتمعات تعاني من اضطرابات فكرية، وانحراف مخيف من خلال تلبيس فئة من الناس بالتكفير المنحرف الذي لا يلتزم بالضوابط الشرعية المقررة، ولا يمكن للغة التكفير أو التفجير أن تبني دولة، أو تسود أمة. فجماعات التكفير التي تطلق الكفر على الحكام، أو على المجتمعات، دونما تفصيل ومعرفة للأحوال والواقع، تتابع ما قالته وفعلته الخوارج منذ القدم، في مرتكبي الكبائر وتكفيرهم بذلك، وقد استغل هذه الأقوال الخاطئة

أصحاب الأهواء والمصالح، من أجل تنفير المسلمين من حكامهم، ودعوتهم للخروج عليهم.

فقضية التكفير فتنة تستوجب التأمل وتستدعي التفكير، فالتكفير لم ينشأ جزافاً بل له أسبابه ودواعيه، وله أيضاً طرقٌ علاجية، فانتشار هذه الظاهرة الشاذة، وتسلسلها إلى مجتمعا بفئاته وشرائحه المختلفة يحتم علينا أن تكون لنا وقفة مساهمة تعالج مثل هذه القضايا الخطيرة، وتوضح لكل مسلم أنه يجب عليه ألا يتعجل في إطلاق تعابير التكفير، والتفسيق على المعينين أو الجماعات حتى يتأكد من وجود جميع أسباب الحكم عليه بالكفر وانتفاء جميع موانع التكفير في حقه، وهذا يجعل مسألة التكفير من مسائل الاجتهاد التي لا يحكم فيها بالكفر على شخص أو جماعة إلا العلماء الراسخون في العلم، وهذا طريق السلف الصالح يحتاطون في أمر التكفير أشد الاحتياط، يجمعون النصوص بعضها إلى البعض، ويفسرون مدلولاتها، دون تطرف أو غلو أو شطط. يحكمون على الظاهر، والله يتولى السرائر.

إن قضية التكفير خطيرة لا يجوز بحال التساهل فيها، أو القول فيها بغير علم وبصيرة.

وإسهاماً منا في هذا الموضوع المهم سأتناول دور المؤسسات الدعوية في علاج هذه الظاهرة لتكون إضافة إلى الجهد الذي يتبقى فيه الوجهة النافعة والحل الأمثل وتقديم العلاج والدواء النافع والقضاء على هذه الظاهرة من خلال هذا البحث والذي يتكون من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة:

■ المبحث الأول: نشر مذهب السلف الصالح لعلاج ظاهرة التكفير من خلال المطالب التالية:

○ المطلب الأول: بيان ضوابط التكفير وأصوله عند أهل السنة

والجماعة.

- المطلب الثاني: معرفة المقاصد الشرعية للدين الإسلامي.
- المطلب الثالث: معالجة الشبهات الواقعة في أذهان الشباب.
- المطلب الرابع: ذكر الأدلة على حرمة دم المسلم، وحرمة قتل الكافر المعاهد أو المستأمن...

■ المبحث الثاني: الدعوة إلى الأخذ بمنهج الوسطية والاعتدال من خلال المطالب التالية:

- المطلب الأول: الوسطية من خصائص الإسلام.
- المطلب الثاني: تأصيل وترسيخ منهج الوسطية في نفوس الشباب.
- المطلب الثالث: إبراز وسطية الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

○ المطلب الرابع: التأكيد على تعاليم الإسلام السمحة ومجاريته للتكفير.

■ المبحث الثالث: إبراز دور ولادة الأمر والعلماء والتذكير بحقوقهم من خلال المطالب التالية:

- المطلب الأول: وجوب السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين.
- المطلب الثاني: التحذير من الفرقة والخروج عليهم.
- المطلب الثالث: احترام العلماء وتقديرهم والالتفاف حولهم.
- المطلب الرابع: غرس مفهوم المواطنة الصالحة لدى الشباب.

■ المبحث الرابع: استخدام الأساليب الدعوية في علاج ظاهرة التكفير من خلال المطالب التالية:

- المطلب الأول: أسلوب النصيحة.
- المطلب الثاني: أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

- المطلب الثالث: الأساليب الحوارية.
- المطلب الرابع: الأساليب الأقتناعية.
- المبحث الخامس: إعداد شخصية الشاب المسلم من خلال المطالب التالية:
 - المطلب الأول: تكوين عقلية الشباب عن طريق التربية والتوجيه.
 - المطلب الثاني: تبصير الناشئة وتوعيتهم بأخطار التكفير والغلو في الدين.
 - المطلب الثالث: تحصين أفكار وعقول الشباب من أي انحراف فكري مضلل موجه من وسائل الإعلام المعاصرة.

المبحث الأول

نشر مذهب السلف الصالح لعلاج ظاهرة التكفير

المطلب الأول

بيان ضوابط التكفير وأصوله عند أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية من بين الفرق الإسلامية، وهم أصحاب المنهاج الحق، الذي يمثل وسطية الأمة الإسلامية، يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله: (وهذه الفرقة الناجية هم وسط في النحل، كما أن الإسلام وسط في الملل)^(١). إن علامة الفرقة الناجية، هي متابعة رسول الله ﷺ ولزوم طريق المسلمين، من صحابته رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ويقول الإمام أحمد - رحمه الله -: (أصول أهل السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، والاعتداء بهم وترك البدع)^(٢). ولقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين أشد الناس تمسكاً ولعلها اقتفاء لنصوص الشريعة، ومع هذا لم يحصل منهم غلو ولا تشدد إلا في قضايا يسيرة في حياة الرسول ﷺ أرشد عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها، وعلمهم وبيّن لهم طريق العبادة المعتدل، وما ذلك إلا لحرصهم على التمسك بالعلم الصحيح، والفهم السليم، ولكن لما بعد الناس عن عصر النبوة والصحابة والتابعين، ومن تبعهم حتى أطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، فصار التمسك بسنة المصطفى ﷺ مستهزئاً به في تلك المجتمعات معدوداً.

(١) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية، ج ٣، ص ٤.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، ج ١، ص ١٥٦.

ولقد تقرر عند الأئمة من السلف أن أقوال الناس توزن بالنص والإجماع فمن وافق النص قبل منه ومن خالف رد عليه، ولم يكن منهج السلف تكفير من لا يستحق التكفير من المسلمين من أهل الكبائر، ولا يكفرون أحداً من أهل البدع أو يفسقونه إلا بدليل وقد سار على هذا المنهج صحابة رسول الله ﷺ والتابعون والأئمة من بعدهم، فالإسلام يأبى كل عمل يقوم به المتطرفون مما يخالف أصول منهج السلف الصالح، ويغلق جميع الأبواب والسبل المؤدية إلى التطرف والغلو، كما حذر الأئمة من الغلو في الدين والتتبع في الأحكام، فالغلو آفة التدين، فتحريف الغالين كان سبباً في هلاك الأمم السابقة ممن غلوا في عقيدتهم وعبادتهم على حد سواء، فحرموا على أنفسهم ما أحل الله، وحرموا طيبات أحلت لهم، قال تعالى في وصف أهل الكتاب: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٧٧)، وقال ﷺ: (إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(١)، وقال: (هلك المتتبعون، قالها ثلاثاً)^(٢) والغلو في الدين يؤدي إلى تكفير المسلمين، وتفسيقهم وإخراجهم من دينهم ودائرة الإسلام، بل يؤدي إلى قتالهم واستباحة دمائهم وأموالهم، كما فعلت الخوارج الذين قال النبي ﷺ في وصفهم: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وقراءته مع قرأتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عباس، ج ١، ص ٥٧٢ رقم الحديث (٣٢٤٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتتبعون ج ١٦، ص ١٩٠ رقم الحديث (٦٧٣٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٣، ص ١٢٢٠ رقم الحديث (٣٥٣٢).



والشباب أحوج ما يكون إلى معرفة المنهاج الرباني الذي اختص الله - عز وجل - به هذه الأمة، وهو منهاج تفرد به الإسلام دون سواه، فواجب الدعاة بيان هذه المسألة، فهذا هو منهاج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، المنهاج الوسط الذي جاء من عند الله، وبيّنه رسوله ﷺ ودعا إليه، وسار عليه الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن تبعهم بإحسان.

المطلب الثاني

معرفة المقاصد الشرعية للدين الإسلامي

إن الأمة الإسلامية مجمعة على أن الشريعة إنما هي حكمة ورحمة ومصالحة للعباد في دنياهم وآخرتهم، وأن أحكامها كلها على هذا المنوال، ما علمنا من ذلك و ما لم نعلم. قال الله - عز وجل - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) قال العلامة القرطبي في تفسيره " ولا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدينية والدينية"^(١).

المتأمل للشريعة الإسلامية و ما أقرته من نظم يجد أنها جميعا من نظام العبادة أو نظام السياسة أو نظام الأسرة أو نظام الاقتصاد وغيرها تعود إلى حفظ هذه الضروريات الخمس؛ فكل أمر هو في حقيقته عملٌ يرمي الشارع من ورائه إلى تثبيت هذه الأصول، و كل نهي كان مقصودا به حمايتها من الإبطال، ومن هنا كان كل ما يحقق تلك الكليات الشاملة، مصلحة و كل ما ينقضها، مفسدة.

وإذا كان الصحابة هم أول القائلين -وأول المجمعين- بأن الشريعة مصلحة، وأن أحكامها لا تعدو أن تكون لخير تجلبه أو لشر تدفعه، فمن الطبيعي أن يكونوا هم أول الملتفتين لمقاصد الشرع ولحكمة الله تعالى. قال ابن القيم "وقد كان الصحابة أفهم الأمة لمراد نبيه وأتبع له. وإنما كانوا يدندنون حول معرفة مراده ومقصوده"^(٢).

فالإسلام جاء لحفظ الضروريات الخمس وهي (الدين - النفس - العقل -

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٢، ص٦٤.

(٢) أعلام الموقعين، لابن القيم، ج٢، ص٣.

العرض - المال)، ورتب حدوداً صارمة في حق من يعتدي على هذه الضرورات، سواء كانت هذه الضرورات للمسلمين والكفار من (معاهدين، أو مستأمنين أو ذميين)، فالإسلام كفل لهؤلاء الأنواع من الكفار الأمن على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ومن اعتدى عليهم، فقد خان الإسلام، واستحق العقوبة الرادعة، لأن العدل واجب مع المسلمين ومع الكفار، حتى لو لم يكونوا معاهدين أو مستأمنين أو أهل ذمة^(١)، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾ (المائدة: ٢).

فلا بد للداعية من تعميق الوعي بمقاصد الشريعة الإسلامية وربط الأحكام بها، وتبنيه المسلم على دورها في توضيح الصورة المتكاملة للدين كونه طريق السعادة في الدارين، فالواقع الذي تمر به الأمة الإسلامية والمتمثل بصور التكفير والعنف والإرهاب يحتاج إلى عودة عاجلة إلى الكليات والمقاصد العامة، لأن الرد إلى مقاصد الشريعة يعيد الاعتبار إلى فقه الأولويات ويثبت في الذهن ميزان المنافع أو المضار بدءاً بحفظ الضروريات التي لا يقوم مجتمع إلا بها في كل شؤونه الحياتية والفكرية ثم الحاجيات ثم التحسينيات، والإخلال في هذا إخلال في بنية المجتمع والأفراد.

(١) الأمن وأهميته في المجتمع وخطورة الإخلال به، للشيخ د. صالح الفوزان، من منشورات المكتب التعاوني لمحافظة بقيق.

المطلب الثالث

معالجة الشبهات الواقعة في أذهان الشباب

يجب على الدعاة استقراء شبهات التكفيريين ودعواويهم والأمور الملتبسة عليهم، وتتبع مقالاتهم ومؤلفاتهم وسائر مزاعمهم والتعرف على رؤوسهم ومرجعياتهم، ثم الرد عليهم بالحجة والدليل والبرهان الشرعي والعقلي، والحوار الجاد مع المنظرين والمتبوعين ومن هذه الشبهات:

١- فتنة التفجيرات والاعتيالات باسم الجهاد:

فلقد انتشر هذا الفكر عند بعض الشباب الذي ليس لديه تحقيق من هذه الأفكار، وليس عنده مناعة كافية لدفع هذه الأقوال، فكانت مشكلة التفجيرات والاعتيالات باسم الجهاد في استخدام العبوات الناسفة^(١)، والأسلحة الحديثة الفتاكة في هذا العصر. له آثار جسيمة، وعواقب وخيمة، وأحدثت من المفسد الشيء الكثير من إزهاق أرواح الأبرياء وتدمير الممتلكات، وإفساد المصالح، والمنشآت العامة، وقتل عددٍ من غير المسلمين المستأمنين في بلاد الإسلام بعهد أمان من ولي الأمر، سواء كانوا سائحين أو خبراء أو عمال وغيرهم، وهذا ناتج عن الجهل بكتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله ﷺ وعدم لزوم منهج السلف، والطعن في العلماء والنيل منهم، والحماس والثورة لدى بعض الشباب ولنيل الشهادة، ووضع أحاديث فضل الجهاد والشهادة في غير موضعها.

(١) لمزيد من التفصيل، ينظر كتاب التفجيرات والاعتيالات (الأسباب والآثار والعلاج)، أبو الحسن السليمانى.

وقد أجاب فضيلة الشيخ صالح الفوزان في سؤال على من جعل التفجيرات والاختيالات من باب الجهاد في سبيل الله، فقال: هذا من الافتراء على الله، وعلى دينه نسأل الله العافية والسلامة، فالاختيالات والتفجيرات والتمرد على الولاية، كل هذا ليس من الإسلام، بل يسبب على المسلمين شراً وخطراً، كما هو معلوم من الوقائع المعاصرة^(١).

٢ - فتنة التكفير باسم الجهاد.

نجد أن للتكفيريين والمتأثرين بأفكارهم شبهات يرددونها في كتب يؤلفونها ومواقع في الشبكات العنكبوتية يبثونها، فأدخلوا في نفوس كثير من ذوي الحماسة الدينية المفرطة شكاً وريباً^(٢)، كما تبثوا دعوات الخروج على ولاة الأمر وتكفيرهم بغير برهان من الله ودليل واضح، فقاموا بأعمال مشينة من تفجير وغيره باسم الجهاد لأجل الإصلاح، وهذا من أبطل الباطل يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١١ - ١٢).

وقد صدر بيان من مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف ابتداء من تاريخ (٢/٤/١٩٩٤هـ) ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء وتخريب المنشآت، ونظراً لخطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف الأموال، فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك بأن:

■ أولاً: التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله وأن التسرع في التكفير له خطره العظيم.

(١) الإجابات المهمة في المشاكل الملحة، الشيخ د. صالح الفوزان، ص ٣٢٤.

(٢) انظر: البرهان المنير في دحض شبهات أهل التكفير والتفجير، عبد العزيز الريس، ص ٥.

- ثانياً: إن الإسلام قد حفظ للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم، وحرّم انتهاكها.
- ثالثاً: أن المجلس في بيانه لحكم التكفير، وما يترتب عليه من شرور وآثام، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان هو عمل إجرامي، والإسلام بريء منه^(١).
- **إذاً يجب على الدعاة إيجاد الحلول لكشف حقائق التكفيريين، فأكثر ما يثيره أهل التكفير والغلو مبني على أوهام وظنون وشائعات وتلبيس، ويمكن معالجة هذه الشبهات من طريقين:**
- أحدهما: بالرفق واللين والتوجيه والتربية وحسن البيان لمن اشتبه عليه الأمر أو ادلّهت عليه الشبهات، ولا يتأتى هذا إلا على يد ذوي العلم والغيرة الراسخين.
- والثاني: بأسلوب مقارعة الحجّة ودفع الشبهة، والتأديب والتعزيز اللائقين في المعاند والمكابر، ومن على شاكلة هؤلاء، وهذا مناط بالقضاء والعلماء والدعاة.

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، ع ٥٦، ص ٣٥٧.

المطلب الرابع

ذكر الأدلة على حرمة دم المسلم وحرمة قتل الكافر المعاهد أو المستأمن

إن الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله - عز وجل - لهذه الأمة، وبعث به محمد ﷺ، دين وفاء وصدق وعدل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (المائدة: ٨)، فدين الإسلام كما يأمر بالأخلاق الفاضلة، والآداب العادلة، فإنه يحارب الغدر والخيانة، والجور، والكذب، ومن أعظم الغدر قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

إن للدماء في الإسلام حرمة عظيمة، وحصانة منيعة تظهر من خلال النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والمقاصد الشرعية، وإجماع الأئمة، وليس لأحد أن يجازف بدينه، ويسفك الدم الذي حرمه الله إلا بالحق. ولقد وضع الإسلام دستوراً حربياً عظيماً راعى فيها الحرمات ألا تنتهك، وأمر فيه بالعدل والقسط، ولو نظر أعداء هذا الدين لهذا الدستور الحربي الإسلامي، لعلموا أن هذا الدين لم يضعه بشر، وأنه ما جاء لقتل الناس، وإنما جاء لدعوة الناس إلى الخير، وأما القتال فهو علاج يستعمل عند الحاجة، لكن الأصل الدعوة إلى الله - عز وجل - بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ثم إن قتال المسلمين للكفار يشتمل على أحكام عظيمة، وهذا من وسطية هذا الدين القويم والتي تدل على أن الإسلام دين العدل والرحمة حتى مع الكفار.

ومن المبادئ العامة لكيفية القتال ما يلي:

١ - عدم الاعتداء والنهي عن قتل النساء والأطفال والشيوخ:

فلا يجوز الاعتداء على الكفار بغير حق، ولا بد ألا يقاتل الكفار والمشركين قبل دعوتهم إلى الإسلام، قال ابن قدامة في المغني: (ومن لم تبلغه الدعوة يدعى قبل القتال، ولا يجوز قتالهم قبل الدعاء)^(١)، كما أن قتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم في القتال داخل في الاعتداء المنهي عنه، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (أي قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي من المثلة، والغلول، وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذي لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان)^(٢).

٢ - حرمة قتل المدنيين من غير أهل المقاتلة والممانعة:

ولذلك نجد أن الإسلام حرم قتل الكفار من المعاهدين، لأن لهم ذمة الله، وذمة المسلمين، فمن قتلهم فقد خان وغدر بذمة الله وذمة المسلمين، والمعاهد يشمل الذمي الذي يدفع الجزية، ويشمل المستأمن الذي يدخل بلاد المسلمين بأمان منهم، وكذلك يشمل الذين بيننا وبينهم عهد ولو كانوا في بلادهم، إذا تعاهد المسلمون مع الكفار فإنه يجب على المسلمين الوفاء مع الكفار سواء كانوا في بلاد المسلمين أو في بلاد الكفار.

فالوفاء بالعهد واجب، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤).

(١) المغني، لابن قدامة، ج ٨، ص ٣١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج ١، ص ٥٢٨.

المبحث الثاني

الدعوة إلى الأخذ بمنهج الوسطية والاعتدال

المطلب الأول

الوسطية من خصائص الإسلام

الوسطية سمة بارزة ثابتة تشمل الشريعة كلها، سواء في الاعتقاد أو التشريع أو العبادة، أو الحكم، كما تشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، إن مفهوم الوسطية الحقيقي هو التمسك بجميع تعاليم الشريعة السمحة بذاتها؛ لأن الإسلام بتعاليمه وشريعته يمثل الوسطية الحقيقية في جميع الأمور الدينية والدنيوية، وقد حذر النبي ﷺ من الخروج عن منهج الاعتدال في الدين الذي كان عليه النبي ﷺ من ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)^(١) والتشدد في الدين كثيرا ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين، وهما من أبرز سماته الخوارج.

ولقد بيّن رسول الله ﷺ لأمة منهج التوازن والوسطية في الحياة كلها، وحذر من عواقب الانحراف عن الوسطية، كما أن الاتصاف بهذا المنهج لمن أكبر العون على معرفة سنن الله الثابتة الشاملة في الأفراد والمجتمعات التي لا تتغير ولا تتبدل، كما نهى في الوقت نفسه عن الغلو، يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: ٧٧).

ولذلك كان لابد للدعاة من بيان وسطية الإسلام لعلاج ظاهرة التكفير فهو خصيصة من خصائصه التي حفظت هذا الدين من تيارات هي في الحقيقة هادمة له ، ولو فقد مع هذه التيارات أهل الوسط والاعتدال لحصل لهذا الدين ما حصل لغيره من الأديان الأخرى، وهذه التيارات قد تكون غالية متشددة تخرج الإسلام عن وسطيته، وتذهب عنه سماحته إلى التشدد، وتكلف النفس ما لا تطيق، وتضمن قضايا وصل الحال عند البعض إلى تفسيق الناس، وفي بعض الأحيان إلى تكفيرهم.

والحق هو الوسط فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وهذا لا يتأتى إلا من العلماء الراسخين الذين يعرفون مجريات الأمور، وتغيرات الأحوال.

المطلب الثاني

تأصيل وترسيخ منهج الوسطية في نفوس الشباب

لقد وعى السلف الصالح ووسطية المنهج والتوازن في الدين فراحوا يدعون إليه قولاً وعملاً، وإن خير من تمثل الوسيطة التي جاء بها الإسلام – هم أهل السنة والجماعة – فتمثلوا الإسلام في جميع أمورهم اقتداءً بالنبي ﷺ وخلفائه الراشدين اتباعاً للكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة، فهم أولى الناس دخولاً في هذه الوسطية، وإن كل معنى من معاني الوسطية ثبت لهذه الأمة، فلاهل السنة والجماعة منه الحظ الأوفر والنصيب الأعلى^(١).

ومن أبرز دور المؤسسات الدعوية فيما يتعلق بتأصيل وترسيخ منهج الوسطية ما

يلي:

- على الدعاة إبراز ووسطية الإسلام لتحسين المجتمع من القضايا التي يمكن أن توجد بسبب التضيق من المتطرفين الذي يعتمدون على نظرة ضيقة للكون وللحياة، وينطلقون منها إلى تخطئة كل رأي مخالف لهم باسم الدين، ويدينون كل فكر مخالف لفكرهم باسم الدين، الأمر الذي ينتهي بهم إلى تكفير الناس، بل والنيل من أعراض العلماء، ووصمهم بصفات غير لائقة، فالغلو في الدين باب إلى التطرف الذي يقود إلى العنف والسعي إلى إلزام المخالف رأيه بالقوة.
- توضيح مكونات الهوية الوسطية في الابتعاد عن اتهام أحد ممن دخل في

(١) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم، ص ٢٨٧.

عقد الإسلام بالكفر والبدعة بأعيانهم، ما لم يصرحوا بذلك، أو يصدر منهم مكفر أو بدعة من غير جهل ولا تأويل ولا خطأ ولا إكراه، ولا يعني هذا عدم بيان الحق أو عدم الرد على الخطأ بالحسنى أياً كان مصدره، ولما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)^(١).

■ يجب عدم الخلط بين القضايا التي لها أصول شرعية وبين ما فيه مخالفة للشرع، فالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراء ونحوها كلها أصول عقدية معتبرة شرعاً بشروطها، فيجب بيان الخطأ في تفسيرها وفهمها، وعدم الخلط بينها وبين التكفير والعنف والإرهاب والغلو، فليس كل أهل الغلو والتكفير خوارج. وليس كل مكفر جهادياً، وليس كل مجاهد مكفراً، والخلط بينهم أدى إلى تعاطف بعضهم مع بعض وإلى التباس الأمور على كثير من الناس، وإلى تعاطف آخرين معهم كذلك.

■ أن ضلال كثير من الفرق والطوائف في التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً بسبب عدم التفقه في الدين، وعدم متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم معرفة ما كان عليه السلف الصالح، وبذلك لم تتبع هذه الفرق سبيل المؤمنين، بل شاققت رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت عن الفرقة الناجية التي تمثل أمة الإسلام، الأمة الوسط، فاستحقت وعيد الله في قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

(١) رواه مسلم، باب بيان حال من قال لأخيه يا كافر، ج ٢، ص ٤٢ رقم الحديث (١٧٧).



إذا فالشباب المسلم أحوج ما يكون إلى اتباع هذا المنهاج في فهم أحكام الشريعة، وفي الدعوة إلى الله على أساسه؛ لأن الأمة الإسلامية، هي الشاهدة على غيرها من الأمم يوم القيامة، ولأنها - بما هي عليه من الحق - شاهدة على الخلق في هذه الدنيا، وقادرة على إصلاح نفسها، وإصلاح غيرها بما لديها من هدي الكتاب والسنة.

إن على العلماء والدعاة إلى الله، أن يخاطبوا الناس بمنهاج الوسطية في كافة أمور الدين علماً أو إفتاء أو دعوة، لأن الدين في أصله يرفض التكفير والغلو والتطرف في كل جوانبه.

المطلب الثالث

إبراز وسطية الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فالإسلام الذي رضيه الله لعباده وأمرهم باتباعه هو دين الوسطية الذي لا غلو فيه ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) أي عدلاً خياراً، والوسط هو أعدل الشيء وأخيره وأجوده.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسير هذه الآية: (أي: عدلاً خياراً، وما عدا الوسط، فالأطراف داخلة تحت الخطر. فجعل الله هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين. وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم. ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا (أمةً وسطاً) كاملين معتدلين، ليكونوا (شهداء على الناس) بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم)^(١).

ولا يخفى على أحد أن الإسلام هو دين الرحمة ودين الوسطية والاعتدال، وأن الأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس كرمها الله بفضل الإسلام، وجعل خيريتها مرتبطة بأداء رسالتها أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وتمسكاً بالإسلام كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ: عبد الرحمن بن سعدي، ج ١، ص ١٥٧.

خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ (آل عمران: ١١٠).

وقد جاءت كثير من آيات القرآن الكريم مقررة أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو طريق الخيرية والاستقامة، وأن ما عداه طريق الانحراف والضلالة.

ولكن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يختلف من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، فليس كل من تصوّر أنه قام به قد وافق الصواب في ذلك، فكم من داعية يأمر وينهى - استجابة للآيات الداعية لذلك على وجه العموم - ضلّ في هذا الأمر، ولم يوفّق للمنهج الوسط، وهو المنهج الحق، فقد يتكلم في مقام يجب فيه السكوت، وقد يغلظ في حال تجب فيها اللين والرفق، وقد يلين القول فيما لا يجدي فيه إلا الغلظة والشدة،، والوسطية في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مسألة نسبية تختلف باختلاف ملابساتها والظروف المحيطة بها^(١).

ومن هنا يتضح أن القرآن الكريم قد وضع قاعدة في رسم منهج الوسطية، وأنّ الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا، وكذلك فمن الحق النظر إلى مآلات الأمور دون الوقوف عند ظواهرها فقط.

لذا كان من الواجب على المؤسسات الدعوية تربية الشباب على هذا المنهج تربية عملية شاملة، مما يقضي على الخلل الموجود في محيط المجتمع المسلم سواء أكان إفراطاً أو تفريطاً، لأنّ هناك لبساً في فهم الوسطية وممارساتها من قبل بعض الجماعات، وهذا اللبس أدى إلى أنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

(١) انظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم، للشيخ: ناصر العمر، ص ١٥٣-١٥٥.

المطلب الرابع

التأكيد على تعاليم الإسلام السمحة ومجاريته للتكفير

لقد جاء الإسلام خاتم الأديان، وجاءت شريعته السمحة خاتمة الشرائع السماوية، واشتملت عقيدة الإسلام على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبعث رسول الله ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين، ومصداقاً للرسل أجمعين، وأنزل الله - عز وجل - عليه القرآن الكريم تبياناً لكل شيء، ومصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه. إن مبدأ اليسر والسماحة ثابت في هذا الدين، وهو قصد عظيم لا ينكره إلا الجاهلون بأحكام الإسلام وحقيقة رسالته، ولقد أدرك السلف - رحمهم الله - أن الابتعاد عن المنهج يورث آثاراً سلبية وأضراراً خطيرة على عمل الإنسان وسلوكه في دينه ودنياه، وربما يخرج عن الصراط السوي إلى السبل المتفرقة والأفكار المنحرفة، فتفتح أبواب البدع والمحدثات على هذا الدين.

كما فهم السلف أن تقرير مبدأ السماحة والتيسير في الدين لا يعني الإخلال بمقاصد الشريعة والدين، فلا نفهم من مبدأ التيسير أنه تفريط في تطبيق أحكام هذا الدين وتنفيذ أوامره، لأن هذا اليسر لا يكون في إثم ولا معصية. كما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حديث (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه) ^(١).

ومن صور يسر وسماحة الإسلام:

الحذر من التعصب: فمن سماحة الإسلام أنه لا يقبل التعصب ضد أي دين من الأديان أو شريعة من الشرائع أو أي كتاب من الكتب السماوية، وقد

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ج ٢، ص ١٢٠٥ رقم الحديث (٣٤٨٤).

قضت مشيئة الخالق - عز وجل - أن يكون الناس مختلفين في عقائدهم ومواهبهم، وملكاتهم العقلية وهي الحكمة الإلهية قال تعالى: ﴿ وَكُوْشَاءَ رَبِّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود: ١١٨ - ١١٩) ولو تأمل أولئك التكفيريون والغلاة والمتطرفون أن من حكمة بعثة محمد ﷺ رفع الإصر والأغلال الواقعة بالأمم السابقة من قبلنا يقول الله - جل جلاله -: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

فالحرَج ليس من مقاصد الشرع، والغلو في الدين فيه مشقة وهو يتعارض مع تعاليم الإسلام الداعية إلى اليسر ورفع الحرج، بل إن يسر الإسلام وتيسيره سمة من سماته التي اختلف بها عمّن سواه من الأديان، يقول الله جل جلاله في سياق الامتتان على هذه الأمة: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج: ٧٨)، ويقول تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨)، ويقول تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه).

إذا أردنا التعمق في مبدأ التيسير والسماحة في دين الله فإننا نجد أنفسنا أمام بحر زاخر من الشواهد والنصوص والأحداث التي تقر هذا المبدأ وتحث عليه.

المبحث الثالث

إبراز دور ولاية الأمر والعلماء والتذكير بحقوقهم

المطلب الأول

وجوب السمع والطاعة لولاية أمر المسلمين

إن السمع والطاعة لولاية أمر المسلمين أصل من أصول العقيدة السلفية، قل أن يخلو كتاب فيها من تقريره وشرحه وبيانه، وما ذلك إلا لبالغ أهميته وعظيم شأنه، إذ بالسمع والطاعة لهم تنتظم مصالح الدين والدنيا معاً، وبالخروج عليهم قولاً أو فعلاً فساد الدين والدنيا، وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، يقول الحسن البصري - رحمه الله تعالى - في الأمراء: "هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة، والعيد، والشعور، والحدود. والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا. والله لَمَا يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن طاعتهم والله لغبطة، وأن فرقتهم لكفر"^(١).

وحقوق ولاية الأمر والأئمة نص الله تعالى عليها في كتابه العزيز، ونص عليها النبي ﷺ، وذلك ليعلم العبد المسلم أن هذه الحقوق في غاية الأهمية، فالقيام بها حتم لا يسمح بالتقصير فيها، ومن قصر فقد رتب الشرع المطهر له عقوبات تتعلق في الدنيا، ومنها تتعلق في الآخرة.

ومن هذه الحقوق:

١. البيعة له، ففي حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال

(١) آداب الحسن البصري، لابن الجوزي، ص ١٢١.

(من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)^(١).

٢. السمع والطاعة في غير معصية الله - عز وجل - ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوَلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩).

٣. النصح له ، ومن الأحاديث المؤكدة لذلك أن النبي ﷺ قال (الدين النصيحة) قلنا لمن ؟ قال: لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم^{(٢)(٣)}.

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الأمانة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال ، رقم ١٨٥٠ .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أن الدين النصيحة ، رقم ٥٥ من حديث تميم الداري .

(٣) ولمزيد من التفصيل ، عقيدة أهل الإسلام فيما يجب على الإمام ، د. عبد السلام بن البرجس ، وحقوق الراعي والرعية ، للشيخ محمد بن عثيمين .

المطلب الثاني

التحذير من الفرقة والخروج عليهم

لزوم جماعة المسلمين واجب شرعي دلّ عليه الكتاب والسنة والعقل، قال الإمام النووي في كتابه شرح صحيح مسلم: (باب وجوب لزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال)^(١).

وفي هذا دلالة قاطعة على هذا الحكم، ويحرم الخروج على ولاة الأمر وجماعة المسلمين لأي سبب من الأسباب، وبأي وسيلة من الوسائل، ومهما كانت المبررات، لأن في ذلك تفريقاً للأمة وتمزيقاً لاجتماعها، وإضعافاً لقوتها، ومخالفة صريحة لكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ من الأمر بوجوب الحفاظ على جماعة المسلمين^(٢).

إن دين الإسلام جاء بالأمر بالاجتماع، وأوجب الله ذلك في كتابه، وحرم التفرق والتحزب يقول الله - عز وجل - : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، فبرأ الله رسوله ﷺ من الذين فرقوا دينهم وحزبوه، وكانوا شيعاً، وهذا يدل على تحريم التفرق، وأنه من كبائر الذنوب، وقد علم من الدين بالضرورة وجوب لزوم الجماعة، وطاعة من تولى إمامة المسلمين في طاعة الله بقول الله - عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي، كتاب الأمانة، الأحاديث ١٨٤٧ - ١٨٥١.

(٢) انظر: الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم، عبد السلام البرجس، ص ٧ -



الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿ (النساء: ٥٩)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك) ^(١).

إن على المؤسسات الدعوية مسؤوليته عظيمة وأمانة جسيمة في توجيه الشباب، وإبراز دور ولاية الأمر والتذكير بحقوقهم، لأنهم إذا علموا بهذه المهمات من أمور الدين فإننا بذلك نضمن صلاحهم في دنياهم وآخرتهم - بإذنه تعالى-.

(١) رواه مسلم، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ج ١٢، ص ١٧٧، رقم الحديث (٤٧١٠).

المطلب الثالث

احترام العلماء وتقديرهم والالتفاف حولهم

فمن منهج أهل السنة احترام العلماء، وتوقيرهم، وإكرامهم، وذكر محاسنهم، والثناء عليهم؛ فهم ورثة الأنبياء، وهم مصاييح الدجى، وأنوار الهدى..

يقول الله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩).

قال ابن كثير: "والظاهر - والله أعلم - أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء" (١).

قال الإمام الطحاوي - رحمه الله - : "وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر: لا يذكرون إلا بالجميل. ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل" (٢).

يقول ابن القيم (معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول فقالوا بمبلغ علمهم والحق في خلافها لا يوجب اطراح أقوالهم جملة وتقصصهم والوقية فيهم فهذان طرفان جائران عن القصد وقصد السبيل بينهما فلا نؤثم ولا نعصم ولا نسلك بهم مسلك الرافضة في علي ولا مسلكهم في الشيخين، بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابة فإنهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

(١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٥٣٠.

(٢) العقيدة الطحاوية، ج ٢، ص ٧٢٠.

ولا يقبلون كل أقوالهم ولا يهدرونها فكيف ينكرون علينا في الأئمة الأربعة مسلوكا يسلكونه هم في الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة ولا منافاة بين هذين الأمرين لمن شرح الله صدره للإسلام، وإنما يتنافيان عند أحد رجلين جاهل بمقدار الأئمة وفضلهم أو جاهل بحقيقة الشريعة التي بعث الله بها رسوله ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين^(١).

فيجب على المؤسسات الدعوية التأكيد على أن الإسلام قد حدث على احترام العلماء ودورهم، وأن على الشباب أن يحملوا ما يجري بين العلماء من الاختلاف على حسن النية، وعلى الاجتهاد، وأن يعذروهم فيما أخطؤوا فيه، ولا مانع أن يتكلموا معهم فيما يعتقدون أنه خطأ، ليبيّنوا لهم هل الخطأ منهم أو من الذين قالوا إنهم أخطؤوا؟ لأن الإنسان أحياناً يتصور أن قول العالم خطأ، ثم بعد المناقشة يتبين له صوابه. والإنسان بشر.

المطلب الرابع

غرس مفهوم المواطنة الصالحة

لدى الشباب

تأتي أهمية تربية المواطنة من حيث أنها عملية متواصلة لتعميق الحس والشعور بالواجب تجاه المجتمع، وتنمية الشعور بالانتماء للوطن والاعتزاز به، وغرس حب النظام والاتجاهات الوطنية، والأخوة والتفاهم والتعاون بين المواطنين، واحترام النظم والتعليمات، وتعريف الناشئة بمؤسسات بلدهم، ومنظماته الحضارية، وأنها لم تأت مصادفة بل ثمرة عمل دؤوب وكفاح مرير، ولذا من واجبهم احترامها ومراعاتها.

يسهم الداعية في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الشباب، ويعزز لديهم الإحساس بالانتماء لدينهم ووطنهم، بالتعرّف على مفهوم المواطنة والعمل على تحقيقها في حياتهم، ومحبة الوطن والإخلاص له تكون بتربية الشباب التربوية الصحيحة، وغرس مفاهيم المواطنة الصحيحة لديه.

وينبغي على الداعية أن يوضح أن الانتماء إلى الوطن والأرض أمر عُرف في الإسلام، بل إنه دعا إليه، شريطة أن تكون تلك المحبة، وذلك الانتماء في ضوء العقيدة الإسلامية، لا يحاد عنها، ولا تنتهك بدعوى العصبية الممقوتة^(١). إن عدم الشعور بالمواطنة من أي فرد من أفراد هذا الوطن يعتبر جريمة في حقه، قد شكل بها تعميم الفوضى بين أبنائه، ومن ثم ضياع لجميع المكتسبات.

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

(١) انظر: الوطن في ضمير الشرفاء، بدر علي العبد القادر، ص ٢١.

كما أن المسؤولية تقع علينا جميعاً في غرس مفهوم الانتماء الوطني لدى الأبناء منذ الطفولة، لأن حب الوطن واجب ديني، وهذه القضية مسؤولية جماعية لكل أفراد المجتمع.

نحن بحاجة لإعادة غرس مفهوم الوطن والوطنية والمواطنة في الضمائر والنفوس من خلال أهمية دور المؤسسات الدعوية واستشعارها لأهمية هذا الدور، بحيث يمكن إزالة أية تشوهات اعترت مفهوم الوطن من قبل البعض في هذا الجيل، وهي مسؤولية كل الشرفاء والمخلصين من العلماء والدعاة.

المبحث الرابع

استخدام الأساليب الدعوية في علاج ظاهرة التكفير

المطلب الأول

أسلوب النصيحة

ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (الدين النصيحة) " ثلاثاً " قالوا: لمن يا رسول الله ؟ قال: " لله ولكتابه ولرسوله ، وأئمة المسلمين وعامتهم " (١) ، وقد أخبر ﷺ خبراً متضمناً للحث على النصيحة والترغيب فيها أن الدين كله منحصر في النصيحة ، يعني: ومن قام بالنصيحة فقد قام بالدين وفسره تفسيراً يزيل الإشكال ويعم جميع الأحوال ، وأن موضوع النصيحة خمسة أمور باستكمالها يكمل العبد.

- ومن أعظم النصيحة لله الذب عن الدين وتفنيد شبه المبطلين ، وشرح محاسن الدين الظاهرة و الباطنة ، أما النصيحة لكتاب الله فهي الإقبال بالكلية على تلاوته وتدبره وتعلم معانيه وتعليمها والتخلق بأخلاقه والعمل بأحكامه واجتتاب نواهيه والدعوة إلى ذلك.
- أما النصيحة للرسول ﷺ فهو الإيمان الكامل به ، وتعظيمه وتوقيره وتقديم محبته ، والحرص على تعلم سنته وتعليمها استخراج معانيها وفوائدها الجليلة.

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة، ج٢، ص٣٢ رقم الحديث (١٥٩).

■ أما النصيحة لأئمة المسلمين وهم ولاتهم. فهؤلاء لما كانت مهماتهم وواجباتهم أعظم من غيرها وجب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إمامتهم والاعتراف بولايتهم ووجوب طاعتهم بالمعروف وعدم الخروج عليهم، وحث الرعية طاعتهم ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمر الله ورسوله - وأما النصيحة لعامة المسلمين فقد أوضحها الرسول ﷺ بقوله (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)^(١) وذلك بمحبة الخير لهم والسعي في إيصاله إليهم بحسب الإمكان وتعليم جاهلهم ووعظ غافلهم ونصحهم في أمور دينهم ودنياهم^(٢).

وبعد بيان واجب النصيحة، ولمن؟ وكيف تكون؟ فلا يصح أن يسلك أحد من شباب هذه الأمة مسلكاً، يكون له أثر قريب أو بعيد في تفريق الكلمة، أو إضعاف كيان الدولة أو الأمة، أو يتخذ وسيلة من الوسائل التي لا تتلاءم مع الطريق الصحيح للدعوة، والأسلوب الأنفع فيها، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة ولي الأمر، والاقتران بالعلماء الثقات المعتمدين، واحترامهم، والتلمذ عليهم، والنصح لله ولأئمة المسلمين وعامتهم، نصحاً يجلب المصالح ويرعاها، ويدراً المفسد ويتجنبها.

وفي العصر الذي نعيش فيه، تبدو حاجة المجتمع ماسة إلى جهد الدعوة في الدعوة إلى الله، وبيان حقيقة النصيحة حفاظاً على الدين، وعلى أحكام الشريعة والأخلاق الإسلامية التي يتعامل الناس بها في المجتمع، واستخدام الرفق واللين والتوجيه والتربية وحسن البيان لمن اشتبه عليه الأمر أو ادلهمت

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل أن من خصال الإيمان...ج٢، ص٥١ رقم الحديث (١٣٣).

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النبوية الزاهرة. العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٣٩.

عليه الشبهات.. ولا يتأتى هذا إلا على يد ذوي العلم والغيرة الراسخين.
فأهل العلم والدعاة هم المكلفون بذلك ببيان الحق للناس وهدايتهم إليه،
وتلك مسئولية كبرى، فإن الله جل وعلا حملهم مسئولية عظيمة من هداية
البشرية، ونشر العلم، وبذل النصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،
وإبلاغ الحق، وتعليم الجاهل، وتبنيه الغافل، فمتى ما أهمل العلماء هذه
المسئولية العظيمة فإن البلدان تخرب، والقلوب تظلم، والنفوس تتيه،
والأفكار تزيغ^(١).

(١) عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك، ص ٥١-٥٣.

المطلب الثاني

أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة

والحكمة يراد بها: مخاطبة العقول بالأدلة العلمية المقنعة، وبالبراهين العقلية الساطعة، التي ترد على الشبهات بالحجج والبيانات، وترد المتشابهات إلى المحكمات، والظنيات إلى القطعيات، والجزئيات إلى الكلّيات، والفروع إلى الأصول.

كما أن من الحكمة: مخاطبة الناس بما يفهمون، وما تسيغه عقولهم، لا بما يعجزون عن فهمه، وقد قال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ وإذا كانت الدعوة بالحكمة تخاطب العقول فتقنعها، فإن الدعوة بالموعظة الحسنة تخاطب القلوب والعواطف فتثيرها وتحركها. والإنسان ليس عقلا مجردا، إنه عقل وقلب معا، إنه عقل يدرك ويفكر، وقلب يحس ويشعر، وعلينا أن نخاطب الجانبين فيه معا: الجانب الذي يعي ويدرك ويحصل المعرفة، والجانب الذي يفعل ويريد، ويحب ويكره، ويرغب ويرهب. ولم يصف القرآن الحكمة بشيء، إلا أن من أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، ولكنه وصف الموعظة المطلوبة بالحسن (والموعظة الحسنة). فليس المطلوب أي موعظة ولكن الموعظة الحسنة الجميلة الجيدة.

المطلب الثالث الأساليب الحوارية

وذلك عن طريق فتح قنوات الحوار والتداول والتواصل مع الشباب، ومنحهم الفرص ليعبروا عن أنفسهم وإقامة المنتقيات الحوارية معهم، والاستماع إلى ما يدور في أذهانهم وإتاحة الفرصة لهم ليعبروا عن أنفسهم وأفكارهم؛ لعرض ما لديهم من أفكار، وشبهات للرد عليها بأسلوب علمي، وتقدير آرائهم وتبادل وجهات النظر دون فرض آراء وأفكار المربين بالقوة حول بعض الموضوعات والقضايا التي تهمهم والمجتمع.

أسلوب الحوار ناجح في التعليم والتوجيه ونشر الدعوة الإسلامية، وطريقة شيقة تجذب الناس إلى الاستماع والتعلم والاستيعاب، ومن ثم التأثير والالتزام بمادة الحوار التي تعتمد على إيقاظ التفكير، ويمكن أن يقال: بمقدار ما يكون الداعية متمكناً من فن الحوار، محيطاً بآدابه وأساليبه، يكون أقدر على النجاح في دعوته، ولذلك لا بد من دراسة أسلوب الحوار والعناية به وتأصيله، ومن ثم الرجوع إليه بين الحين والآخر، ليحاكم الداعية طريقته في النقاش وأسلوبه في عرض الدعوة فيحسن أداءه ويصلح أخطائه، ليتحقق له بذلك الهدف والغاية من كلامه وحواره^(١)، ولما كان أسلوب الحوار مهماً في مجال الدعوة، من أجل إظهار الحق وإبطال الباطل ودحض الشبه والمنكرات، فقد كان منهج السلف الصالح رحمهم الله إتاحة الفرصة الكاملة للحوار الحر الرشيد داخل المجتمع الواحد، لتقويم الأعوجاج الفكري بالحجة

(١) انظر: أسس الدعوة ووسائل نشرها: محمد عبد القادر أبو فارس ص ١٢٩، الحوار وآدابه وضوابطه، يحيى زمزمي، ص ٣٢ - ٤٤، الدعوة الإسلامية (الوسائل والأساليب)، محمد خير يوسف، ص ١١٦.

والإقناع، من تطبيقات هذه القاعدة في السنة النبوية قول أحد الشباب لرسول الله في أن يأذن له بالزنا، فهو يعرف تحريمه وبشاعته، ومع ذلك يطلبه، فمجال الحوار كان مفتوحاً معه دون خوف، فتمت معالجة هذا الانحراف في مهده، ومن تطبيقاتها في عهد الخلفاء الراشدين بعث علي بن أبي طالب عليه السلام عبد الله بن عباس رضي الله عنه لمناقشة الخوارج في حروراء ومحاورتهم بعد خروجهم، وكان من نتيجة هذا الحوار رجوعوا الثلثين عن بدعتهم^(١).

فالمؤسسات الدعوية تتحمل مسؤولية كبيرة في تحصين ووقاية الشباب من أي انحراف فكري باتجاه الغلو والتكفير وذلك بفتح باب الحوار مع الشباب، بالاهتمام بالأنشطة التوعوية والدعوية بين أوساط الشباب على وجه الخصوص باعتبارها الفئة الأكثر عرضه للتأثر بدعاوى وشعارات الإهارب، وقد كشفت دراسة أجرتها وزارة الشؤون الإسلامية أن المحاضرات التوعوية، ولقاء العلماء والدعاة تفوق على بقية الوسائل الأخرى في التوعية بمخاطر التكفير والإرهاب، والرد على جميع الشبهه والدعاوى التي يتشدق بها المتطرفون، وقد أشار أكثر من ٧٠٪ من أفراد العينة الذين شملتهم الدراسة إلى أن المحاضرات واللقاءات التي تحضرها أعداد كبيرة من الشباب تتيح فرصة طيبة للمناقشة والحوار لتصحيح المفاهيم الخاطئة التي قد تعلق في أذهان البعض نتيجة لقصور في فهم المعاني القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الرابع الأساليب الإقناعية

إن من فضل الله تعالى في هذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده أنه جعل مسألة الإقناع والتأثير به على المدعويين إليه مسألة لا تناقض الفطر السوية، ولا تخالف العقول الصحيحة بل تزيكها وتوجهها بأسهل منطوق وأقوم حجة وأوضح دلالة، مع العدل والمصادقية وبناء ذلك كله على رغبة الخير والنصح للناس.

القدرة على الإقناع والتأثير مهارة مرغوبة، وصفة محبوبة يتفاضل الناس في القدر الذي وهبهم الخالق - عز وجل - منها، كما يتفاضلون في حسن استخدام هذه القدرة وتوجيهها فيما فيه مرضاة الله تعالى أو في غيره، وطرق الإقناع والدعوة إلى الحق بقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

ولذلك يجب على الداعي اتباع الطرق التالية:

- ١- أن يأتي بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، التي تخاطب العقل، وتوضح الحق، ولا تدع مجالاً للريبة أو الشك. يلائم هذا الأسلوب إقناع الفئة العاقلة الذكية من الناس. يدل على هذا الأسلوب قوله تعالى: (بالحكمة).
- ٢- أن يقدم النصيحة الصادقة بقول بليغ يحرك النفوس، ويرقق الشعور. يلائم هذا الأسلوب البسطاء من عامة الناس. يدل على هذا الأسلوب قوله تعالى: (والموعظة الحسنة).
- ٣- أن يدعو باللين والنقاش الهادئ، وأن يتجنب الخشونة والغلظة في القول. يلائم هذا الأسلوب نقاش المعاندين والمعارضين. يدل على ذلك قوله تعالى:

(وجادلهم بالتي هي أحسن).

٤- ويجب على الداعية أن يرتب نفسه ويعدّها بحسب مقدار الحاجة ونوع الإقناع وموضوعه وظروفه والموجه إليه، ويتحقق من قدراته في ذلك ومناسبة الموضوع ومداخل الإقناع التي سيستخدمها في علاج ظاهرة التكفير، وأن يكون الداعية متدرجاً فيما يريد الإقناع به بحسب أهميته أثره في إحداث التغيير، كما يكون إيجابياً تجاه المدعو في التأثير والاقتناع والتغيير ومستوى النجاح الذي تحقق الإقناع به، وذلك يتضح من خلال الجوانب الآتية:

- البدء بالأمور المشتركة المتفق عليها، وبخاصة ما يمثل أهمية لدى المدعو؛ فهذا تدرج للإقناع والتأثير ينتج كسراً للحواجز المتوقعة عند المدعو تجاه الداعية أو موضوعه، كما ينتج كسباً لعقله وعاطفته.
- بيان أن الحق يمكن أن يكون في كلام أحد الطرفين، كما أن الباطل يمكن أن يكون عند أحدهما كذلك، وهذه درجة عالية في الإنصاف والعدل والتدرج مع المخالف، وهي مظهر إيجابي في تناول للقضية المختلف فيها وبخاصة في الإقناع والتأثير الذي يكون في إطار حوار أو مناظرة.

ولذلك يجب أن تبذل الجهود من قبل المؤسسات الدعوية في استجلاء المنهج الإسلامي في معرفة طرق الإقناع والتأثير مع الاستفادة من التراث الإنساني الصحيح في هذا المجال ليرتفع شأن الدعوة والداعي في الوصول إلى المدعو بالهدي الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، فكثيراً ما تضيع الفرص ويحصل سوء التفاهم، وتتعكر العلاقات ويفوت الوقت، وربما يصل الحال إلى أكثر من ذلك بكثير وذلك بسبب عدم الاقتناع، أو بسبب سوء الحوار، أو بسبب عدم معرفة أساليب الإقناع وقواعده وفنونه.

المبحث الخامس إعداد شخصية الشاب المسلم

المطلب الأول تكوين عقلية الشباب عن طريق التربية والتوجيه

وذلك عن طريق اتباع الطرق العلاجية التالية:

١. تبصير الناشئة وتوويرهم بالأخطار المحدقة بهم من واجتياح فكري وثقافي لثوابتهم الأصيلة ومرجعيتهم النقية، والعمل على مساعدتهم على تنمية قدراتهم على اكتساب الحصانة الذاتية، وغرس المفاهيم الصحيحة في عقول الناشئة بما تشتمل عليه من حصانة فكرية، ووعي أمني والحفاظ على المكونات والموروثات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة والمشبوهة، والإسهام في تهذيب السلوك القيم.
٢. توجيه الشباب بخاصة إلى ترك الخوض في المهمات من النوازل والقضايا والحوادث المستجدة في هذا العصر بدون فقه وعلم مكين وذلك كالجهاد، والتكفير، والولاء والبراء، والتعامل مع غير المسلمين، وإنكار المنكر ومعرفة درجاته وضوابطه، وأن يعتمد إلى سؤال أهل الذكر والعلم الموثوقين في ذلك في حالة عدم التأهل للعلم والفقه في ذلك، وأن يرد الأمر في مثل هذه القضايا إلى أهله.
٣. توجيه الشباب إلى الابتعاد عن صحبة الغالين، والمتطرفين أو ممن ظهرت عليهم أمارات الغلو والتطرف، فللصحبة أثر كبير في حياة الفرد، والقرين يتأثر بقرينه، والخلل يؤثر فيه خليله ويتأثر به، ذلك أن الشاب

سريع التأثير بغيره ، وغالباً ما تؤثر فيه العواطف والانفعالات ، والدعايات والعبارات الجذابة ، والعواطف الحماسية غير المرشدة ، ويحب الفتوة ، وربما العنف والقوة والبطولة ، والمخاطرة والمخالفة ، فعلى المسلم لا سيما الشاب أن يختار من يخالل ، وأن يُوجّهه إلى ذلك من قبل وليه أو مربيه.، فالقدوة الصالحة لها أثر في التوجيه والتربية والتأثر والتأثير. ولذلك لا بد من إرشاد الشاب المسلم إلى مصاحبة المعتدلين سلوكاً وأخلاقاً ومنهجاً وفكراً، وليأخذ عن العلماء الموثوقين المخلصين الواقفين عند حدود الله، الذين عُرفوا بذلك حتى يبتعد عن الانحراف والغلو والتكفير والتشدد المذموم.

٤. استخدام البرامج الدعوية والإعلامية، وذلك عن طريق:

- تنفيذ المسابقات العلمية والثقافية المختلفة، وإشراك الشباب في كافة أنواع النشاط الثقافي من ندوات ولقاءات ومحاضرات وإلقاء.
- الأنشطة " اللاصفية " عن طريق البحوث والمسابقات، والتي ينبغي أن تلقى الرعاية، والتخطيط، والدعم غير المحدود بالإضافة إلى الخطاب الإعلامي الصادق، والذي يعني بالتحذير من التكفير.
- عقد دورات تدريبية تهدف إلى تدريب الشباب على المهارات التي تعزز روح الولاء، والانتماء، والشعور بأهمية المجتمع الذي يعيش فيه والحرص على تحقيق تماسك المجتمع وترابطه.
- ربط ما يقدم سواء في الأنشطة والبرامج بواقع الشباب الذي يعيشونه.

المطلب الثاني

تبصير الناشئة وتوعيتهم بأخطار التكفير والغلو في الدين

وذلك بتوجيه تفكيره، وتصوراته وفق مقاصد الشريعة وأحكام الدين ونظراً لأن الدعوة رسالة يقدمها الداعية للمدعوين فيكون المقصود من الدور الدعوي ما تقوم به مؤسسات الدعوة من أنشطة وأعمال للتأثير على الشباب، فينبغي أن ينصب التوجه في الدعوة على التحذير من خطورة التكفير، فالمسلمون الأوائل تشكلوا من خلال كتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه ﷺ، فكان القرآن ولا يزال، خطاب عقيدة وعلم ووعي وفكر وثقافة، لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان بكل صفاته ومكوناته.

فواجب على الدعاة بناء الفرد المسلم على أسس عقديّة إيمانية تعيد صياغة النفوس، وتفتح آفاق العقول، وتبث فيه روح الدين الحقيقي، وتوصل العزة الإيمانية، وتمحور حياته حول هدف واحد، هو تحقيق العبودية لله بأبعاها كلها، وإعمار الأرض بشريعة الله. وتحقيق هذا مرتين بإتباع طريق الله المستقيم: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

وأخيراً الأمر يحتاج إلى تكاتف الجهود من المؤسسات الدعوية لتكوين الشباب المسلم وجعل التحصيل التربوي سلوكي، والعلم والعمل بالإسلام أساس، فلا تكون مهمة الدعاة محصورة فقط في تقديم المعلومات، وشرح الحقائق دون التثبت من الاعتقاد بها والاجتهاد في العمل والسلوك وفق ما تهدي إليه.

المطلب الثالث

تحسين أفكار وعقول الشباب من أي انحراف فكري مضلل موجه من وسائل الإعلام المعاصرة

العالم اليوم يمر بالكثير من التغيرات والتبدلات والتحولات التي فرضتها الإنجازات العلمية الباهرة في شتى حقول العلم و المعرفة، كما أن لتكنولوجيا الإعلام والاتصال دوراً مؤثراً " في صياغة الحياة المعاصرة، حيث تقلصت المسافات، وتداخلت الأفكار والثقافات، وأصبح العالم قرية كونية صغيرة، وبمقدار ما لتلك التحولات و التغيرات من آثار ايجابية في مسيرة البشرية، فإن لها أيضا سلبيات ومساوئ، وقد انعكس ذلك على كل شيء في حياتنا المعاصرة.

ومن أكثر الشرائح العمرية تأثراً بما يجري في عالمنا المعاصر شريحة الشباب، حيث يتأثر بما يكتب في الإنترنت، وبعض وسائل الإعلام من كتابات تدعو إلى التشدد والغلو والتطرف ووصف العلماء والحكام ومن يتعاون معهم بالمداهنة والتخاذل والمجاملة، وذلك بقصد إضعاف الثقة بهم، وعزل المجتمع عن الاتصال بهم، بل والخروج عليهم بدعاوى باطلة، وشبهات ساقطة، ونصوص ظنية محتملة أو متأولة أو عامة.. الخ.

ويمكن تحسين أفكار وعقول الشباب من أي انحراف فكري خلال مجموعة من

الأمر منها:

١- التحذير من خطورة وسائل الإعلام ومآثره من فكر منحرف من خلال:

▪ خطب الجمع.

▪ الندوات الدينية الموجهة لشريحة الشباب



- المحاضرات.
 - البرامج والحوارات المتلفزة.
- ٢- إعداد المواد الإعلامية التي تكفل غرس القيم الدينية والوطنية وتحذر من التكفير والإرهاب وتركز على الثوابت الأخلاقية والاجتماعية و العادات والقيم الأصيلة.
- ٣- عمل برامج أمنية يشرف عليها متخصصون من الدعاة تكون موجهة للتوعية الأمنية في المجتمع وخاصة فئة الشباب.

وختاماً

فإن التكفير يعتبر من أعظم الأهواء والبلايا الواقعة بين بعض أبناء الأمة، ولقد جرّ عليها من الويلات والفتن العمياء والحروب الطاحنة الشيء الكثير، وأوقعها في كل مذموم من الشقاق والاعتداء على الأرواح والممتلكات، و ظاهرة التكفير ليست قضية خطيرة فحسب، بل مركبة ومعقدة للغاية، مما يجعلنا مطالبين ببذل جهود بحثية تشخيصية متواصلة لتلك الظاهرة، فلا بد من تكريس جهود المؤسسات الدعوية التي تنشر العلم الشرعي الصحيح بين الناس بما جاء في كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله ﷺ، ففي معرفتها المعرفة الحقيقية لن نجد خارجاً عن جماعة المسلمين وأئمتهم.

فالمعالجة الأمنية لظاهرة التكفير لن تفلح في استئصال شأفتها ما لم تكن مصحوبة بنشاط فكري وتعليمي من قبل المؤسسات الدعوية، النشاط الذي يؤدي إلى إشاعة قيم التسامح والحوار، والقبول بالآخر في المجتمع، وتعزيزها وترسيخها، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الدين الإسلامي الحنيف.

ومن أبرز التوصيات:

- ضرورة طرح برامج وخطط علمية مدروسة من قبل المؤسسات الدعوية لعلاج ظاهرة التكفير بالحوار والمناقشة والحجة والتربية.
- التأكيد على أهمية التعاون بين الدعاة والعلماء لحل هذه الظاهرة، وذلك باستقطاب الشباب المندفع واستقبالهم ومحاورتهم.
- تنظيم محاضرات وندوات علمية ذات الصلة بالتوعية بخطر التكفير على الإسلام والمسلمين.

■ ضرورة تضمين المقررات الدراسية في المراحل الدراسية المختلفة مواضيع تركز على وسطية الإسلام وسماحته وحضارته وسمو شرائعه وتعاليمه وتعرف النشأ بمخاطر التكفير والتطرف، وخطرها على الفرد والمجتمع.

هذا والله نسأل أن يجعل أعمالنا خالصة في رضاه وأن ينفع بها وأن يصلح شأن أمتنا في الأمور كلها وينصرها على أعدائها داخلاً وخارجاً إنه ولي ذلك، والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

- آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ابن الجوزي، تحقيق: سليمان الحرش، ط٣، سوريا، دار النوادر، ٢٠٠٧م.
- أسس الدعوة ووسائل نشرها: محمد عبد القادر أبو فارس، ط١، الأردن - عمان، دار الفرقان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية، علق عليه: طه عبدالرؤوف سعد (بيروت، دار الجيل للطباعة والنشر، د.ط.ت).
- الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم، د. عبد السلام بن برجس، ط٢، ١٤١٩هـ.
- الأمن وأهميته في المجتمع وخطورة الإخلال به، للشيخ د. صالح الفوزان، مطوية من منشورات المكتب التعاوني لمحافظة بقيق
- الإجابات المهمة في المشاكل الملمة، د. صالح الفوزان، جمع وإعداد: محمد الحصين، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- البرهان المنير في دحض شبهات أهل التكفير والتفجير، عبد العزيز الريس، ط١، أبو ظبي، دار الإمام مالك - ١٤٢٧هـ
- التفجيرات والاعتقالات - الأسباب والآثار والعلاج - أبو الحسن السليمانى، ط١، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي السلافة، ط١، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٢هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤١٠هـ
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- حقيقة منهج المملكة العربية السعودية، د. محمد بن عمر بازمول، ط١، القاهرة، دار الاستقامة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد حسن

- زمزمي، ط ١، مكة المكرمة، دار التربية والتراث، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- حقوق الراعي والرعية، للشيخ محمد بن عثيمين، الرياض.
 - الدعوة الإسلامية (الوسائل والأساليب)، محمد خير يوسف، ط ٢، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ.
 - الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة. العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي. مكتبة المعارف. الرياض.
 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، تحقيق: د. أحمد حمدان، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.
 - ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبد الله القرني، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
 - عقيدة أهل الإسلام فيما يجب للإمام، د. عبد السلام بن برجس، ط ١، الرياض، ١٤٢٤هـ.
 - العقيدة الطحاوية، شرح ابن أبي العز الحنفي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت دار الفكر الإسلامي.
 - عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك، سوريا - حلب، مطابع دار الكتبي.
 - مجلة البحوث الإسلامية، ع ٥٦، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء.
 - المغني، لابن قدامة، ط ١، دار الفكر، ١٤٠٥هـ.
 - مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع للدكتور ناصر العقل، دار الوطن ط ٢ ١٤١٧هـ.
 - منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٦هـ.
 - وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم، ط ١، الرياض، دار الراية، ١٤١٥هـ.
 - الوسطية في ضوء القرآن الكريم، للشيخ: ناصر العمر.
 - الوطن في ضمير الشرفاء، بدر علي العبد القادر، ط ٣، الرياض، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.